۱۶۶۵۹

مجله	کلیۃ الشریعۃ
تاریخ نشر	۱۳۸۸ ق
شماره	۵
شماره مسلسل	
محل نشر	بغداد
زبان	عربی
نویسنده	محسن عبدالحمید
تعداد صفحات	۳۰۳-۲۹۶
موضوع سرفصلها	ختم النبوۃ فی القرآن
کیفیت	
ملاحظات	

ختم النبوة في القرآن

محسن عبدالحميد

إن مسألة ختم النبوة والرسالة برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم معلولة بالضرورة عند الامة الاسلامية • فهي عقيدة من العقائد الجوهرية في الاسلام ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله المتواترة واجماع الصحابة والتابعين والفقهاء والعلماء منذ مبعثه الى يومنا هذا • فالشك فيها هو شك في القرآن الكريم ، وطعن في السنة النبوية المتواترة ، وارتداد عن الدين ، يقتل صاحبه عليه •

لقد أخبرنا الله تعالى بصريح لفظه في محكم كتابه انه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم • اذ هو خاتمهم أكمل بنيان الدين ، وبلغ كلمته الى الثقلين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)[1] •

فالدين الذي أرسل الله به الانبياء والمرسلين كمل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبه تمت النعمة الالهية على البشرية •

يقول الاستاذ سيد قطب (« اليوم أكملت لكم دينكم » فما عادت زيادة لمستزيد ففي مبادئه وكلياته وتوجيهاته الكفاية لبناء الضمائر وبناء المجتمعات • أما الحاجات الجزئية المتجددة التي لم يرد فيها نص ، ففي العقل الذي يبنيه الاسلام ويحرسه من الزلل كفاية لمواجهتها بالحلول المتجددة في ظل المبادىء الكبرى والكليات • ولقد انقضى نيف

(١) المائدة • الآية (٣) •

وثلاثة عشر قرنا على هذا البيان ، وما تزال شريعة الاسلام سابقة لكل ما تمخضت عنه تجارب البشرية تتطلع الى الافق الوضيء الذي رسمه الاسلام ، وتحاول أن تبلغه على الايام)[2] •

ثم صرح الله تعالى باختتام النبوة وانقطاع الرسالة • لأنها تمت فقال (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)[3] ومن المعلوم عند ذوي البصائر من العلماء والمفسرين ان النبوة أعم من الرسالة • فكل رسول هو نبي اذ النبوة هي اعلام الله عبدا من عباده أمره عن طريق الوحي ، فالرسول نبي ولكن الفرق بينهما ان الرسول ينبؤ اليه بشريعة مستقلة ذات كتاب مستقل • ناسخة لشريعة سابقة أما النبي فينبؤ اليه بامور في اطار شرع سابق فالنبوة موجودة في الرسول حتما ، ولا يمكن تصور رسالة دون نبوة • ولما امتنع بالنص القاطع مجيء نبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يعني ذلك امتناع مجيء الرسول ، لان الرسالة مبنية على النبوة ، فاذا امتنعت النبوة امتنعت الرسالة معه كما تؤل اليه النتيجة المنطقية[4] • قال تعالى (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) •

ثم ان الآية بهذه الصيغة قد قطعت على المدعين ادعاءاتهم فلو قال تعالى (خاتم المرسلين) لزعم الزاعمون ان الرسالة قد ختمت دون النبوة على اعتبار خصوصية الرسالة •

(٢) في ظلال القرآن ٦/٣٠ •

(٣) الاحزاب ٤٠ •

(٤) الآلوسي ـ روح المعاني ٢٢/٣٤ • التفتازاني ـ شرح المقاصد ٢/١٧٣ • الغزالي ـ الاقتصاد في الاعتقاد ص ٩١ • رشيد رضا ـ الوحي المحمدي ص ٣٧ •

انقطاع النبوة والرسالة مما بعد محمد صلى الله عليه وسلم • فكل من ادعى أو يدعي الوحي الشرعي من الله تعالى بعده ، فهو كذاب مضل فقد ادعى النبوة كثيرون فظهر كذبهم)[١٥] •

وقال القاسمي شارحا حكمة ختام النبوة برسول الله صلى الله عليه وسلم (وانما ختمت النبوة به ، لانه شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان وكل مكان • لأن القرآن الكريم لم يدع أما من امهات المصالح إلا جلاها ، ولمكرمة من اصول الفضائل الا أحياها ، فتمت الرسالات برسالته الى الناس أجمين ، وظهر مصداق ذلك بخيبة كل من ادعى النبوة بعده ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها)[١٦] •

وقال العلامة المتكلم سعدالدين التفتازاني (وكونه خاتم النبيين لا نبي بعده ولا تنسخ لشريعته • هو أنه ادعى ذلك بحيث لا يحتمل التأويل وأظهر المعجزة على وفقه وكتابه المعجز قد شهد بذلك قطعا كقوله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس » و « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً » و « قل اوحي الى أنه استمع نفر من الجن الآيات »[١٧] •

وقال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (وكونه خاتم النبيين لو لم يرد في القرآن لكانت طبيعة الوجود دالة عليه بمجرد النظر الى خطاب القرآن وتعاليمه) وضرب لذلك مثلا فقال (ان مثل النوع الانساني كمثل شخص منه يخاطبه أبوه ومربيه في كل طور من أطوار عمره بما يناسب درجة عقله وحاجة سنه • وكذلك عامل الله النوع الانساني فخاطب قوم كل رسول بحسب درجة عقولهم وحالتهم الاجتماعية في زمانهم ، وكلما

(١٥) الوحى المحمدي ص ٣٧ •
(١٦) تفسير القاسمي ١٣/٤٨٦٦ •
(١٧) شرح المقاصد ٢/١٧٣ ، ١٩١ •

ارتقى البشر جعل الله التشريع لهم أرقى ، حتى ختمه ببعثة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم الذى هو دين سن الرشد لنوع الانسان) •[١٨]

هذا وان أى نبى لا يرسل بعد نبي آخر إلا لاسباب ثلاثة :

الاول : اذا كان تعليم النبي المتقدم قد انمحى وظهرت الحاجة الى عرضه على الناس مرة اخرى •

الثاني : أن يكون تعليم النبي المتقدم غير كامل فهو بحاجة الى اتمامه •

الثالث : أن يكون تعليم النبي المتقدم منحصرا في امة خاصة ، وتكون امة إخرى أو سائر الامم بحاجة الى نبي مرسل مثله[١٩] •

وبما أن تعليم رسولنا الاعظم لم يمح بل قطع الله على نفسه بحفظه في محكم كتابه ، وهو تام كامل لا يحتاج الاتمام ، وهو عام للخلق رحمة للعالمين من الانس والجن ، فاذن انتفت الحاجة الى رسول جديد •

وقمين بنا ونحن نتكلم فى هذا الموضوع الخطير أن نفتح كتاب الله الذى هو الحكم الفصل في هذه المسألة وغيرها • اننا سنرى أن الآيات القرآنية تدل دلالة صريحة على أن كل رسول هو نبي ولا عكس • فلو تتبعنا الآيات من سورة الاعراف وجدنا ان الله يقص على رسوله طائفة من أخبار الانبياء والمرسلين ، وكيف انهم جوبهوا بالمعارضة الشديدة ، وأصابتهم المحن القاسية من أقوامهم وقراهم التى ارسلوا اليها •

فهذا نوح (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين)[٢٠] •

(١٨) رشيد رضا تاريخ الامام محمد عبده ١/٩٣٤ •
(١٩) أبو الأعلى المودودي ـ مبادىء الاسلام ص ٥٨ •
(٢٠) الاعراف (٦١) •

وهذا هود (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين)[٢١] .

وهذا صالح (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) .[٢٢]

ولما ذكر لوطا ذكره بالوحي والنبوة ، ووصفه بالرسالة في آية أخرى و.(وإن لوطا لمن المرسلين)[٢٣] .

وهذا شعيب (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم)[٢٤] .

وبعد أن وصفهم الله في الآيات السابقات بالرسالة اتبعه مباشرة بقوله تعالى (وما أرسلنا من قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون)[٢٥] والمعلوم من استعراض سورة الاعراف ان هؤلاء الانبياء هم نفس اولئك الرسل الذين ذكرهم تعالى في الآيات المذكورة ، وان اولئك الذين أخذوا بالبأساء والضراء هم أهل قراهم وأقوامهم وأنت اذا تتبعت سورة هود تصل الى نفس هذه النتيجة الواضحة .

وكذلك قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمن وآتينا داود زبورا) وبعد ان وصف الله

(٢١) الاعراف (٦٧) .
(٢٢) الاعراف (٧٥) .
(٢٣) الصافات ١٣٢ .
(٢٤) الاعراف ٩٣ .
(٢٥) الاعراف ٩٤ .

تعالى هؤلاء بالنبوة اتبعه بهذه الآية الكريمة التي تدل على رسالاتهم (ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عليكم حكيما)[٢٦] .

وكذلك قوله تعالى واصفا بني اسرائيل (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق)[٢٧] وصفهم بقتل النبيين هنا ثم عاد فذكر هؤلاء رسلا في الآية الكريمة (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)[٢٨] .

أما عيسى عليه السلام فقد وصفه الله سبحانه وتعالى فقال (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته)[٢٩] ووصفه بالنبوة على لسانه عليه السلام فقال (قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا)[٣٠] .

من هذا العرض السريع تعلم علم اليقين ان قول الفرق الهدامة ومنها فرقة البهائية في التأويل الباطني للآية الكريمة (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) باطل أصلا . اذ أنهم يقولون ـ وساء ما يقولون ـ ان الله لم يقل وخاتم المرسلين[٣١] . وكأن هؤلاء المرسلين ليسوا بأنبياء ، وكأنهم كانوا في عمى عن رؤية الحق في عشرات من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد أن كل رسول هو نبي .

(٢٦) النساء ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٢٧) البقرة ٦١ .
(٢٨) البقرة ٨٧ .
(٢٩) النساء (١٧١) .
(٣٠) مريم (٣٠) .
(٣١) التبيان والبرهان ـ الصفحات الاولى ـ البهائية ـ رد على تحذير حسبة العلماء ص ١٠ وما بعدها .